

تحويل السُّلطة وتغيير الممارسة لدَعْمِ بناء السلام المَقْوَدِ محلياً

أليكس شوبرج

يقتضي بناء السلام بناءً مستداماً توسيع إدراك ديناميات النزاع المحلي، ورغبةً من جهة الجهات الفاعلة الخارجية، في التخلي عن السيطرة، وتسليمها للجهات الفاعلة المحلية.

مصطلحين عمليين وأن يُستخلص منهما نتيجتهما المنطقية، من حيث التعديلات البرنامجية والعملية المطلوبة. ونظراً إلى الطبيعة الملازمة للتنمية والمساعدة الإنسانية -التي تفضل نقل الموارد، والتأثير، والوصول إلى جماعات معينة دون غيرها- فلا تدخلاً كاملاً مراعيًا لظروف النزاع. ومع ذلك، يمكن من أجل التصدي لهذه المعضلات فعل ما هو أكثر بكثير مما يُمارَس اليوم. وتظهر قلة الاهتمام عملياً بهذين المفهومين خصوصاً في الاستجابة الإنسانية، وجزءاً من ذلك سببه صعوبة الموازنة بين تعقيد السياقات المتأثرة بالنزاع وبين ضرورة إيصال المساعدة في أسرع وقت مُمكن.

ثم إن قوة الاندفاع التي تدفع الاستجابة إلى الحاجات الإنسانية إنما تعني أن أهمية فهم ديناميات الصراع، من حيث صلتها باللاجئين والمجتمع المضيف، هي إما مُقلَل من شأنها أو مَغفول عنها. ففي أوغندا، أدى ذلك إلى اتباع مقاربة اعتبارية تأتي بنتائج عكسية في معالجة التوتُّرات في جماعة لاجئي جنوب السودان. ففي بداية الأمر، كانت القرارات المتعلقة بموقع مستوطنات اللاجئين الجغرافي غافلةً عن مواطن التصدُّع العرقي التي أظهرتها الحرب الأهلية في البلد. ولما اندلع العنف المحلي في بعض مستوطنات اللاجئين، فُرِّقَ اللاجئين من بعد جغرافياً وفق طوائفهم. ومع مرور الوقت، عمل هذا في تقوية التوتُّرات المجتمعية وإدامتها. ولما كان لا بد من الاعتراف بالاختلافات بين المجتمعات المحلية، والعمل على مَنع العنف الذي يمكن أن يقع أو على تخفيفه، كان من المهم أيضاً فهم المساعدة الإنسانية التي يمكن أن تأتي لتكون كالجسر يمد بين المجتمعات المحلية ليجمع بينها، ولتسهم في زيادة التماسك الاجتماعي. ولا بد أن تُدمج هذه الأهداف في وضع البرامج، ولا ينبغي أن تُفترَض أو تُعدَّ أفكاراً تستدرَك بعد حين.

ولقد وَصَّعت مبادرة اسمها معونة أفضل في النزاع (Better Aid in Conflict) في جنوب السودان إطار عمل توجيهياً مفيداً يُسمَّى مجال الطموح (Spectrum of Ambition). ويبدأ هذا الإطار بحدٍّ أدنى من الأمر الجزري 'تجنُّب الضرر'، كما هو مطلوب في مبادئ الدول الهشة، التي وضعتها لجنة المساعدة الإنمائية، في منظمة التعاون والتنمية

يُطرَدُ أكثرَ اللاجئين من ديارهم ويُتعدون عنها بسبب النزاع، ثم يروون غالباً أن ديناميات النزاع الذي يفرُّون منه والتوتُّرات التي تقوم عليه، إنما تنقل إلى محيطهم الجديد. ويأتي أكثر من نصف اللاجئين جميعاً من ثلاثة بلاد (هي سورية وأفغانستان وجنوب السودان)، وأكثر لاجئي العالم مستضافون في ١٥ بلداً، ومعظم هذه البلاد مجاورة البلاد التي يفرُّ منها اللاجئين. وإضافة إلى القرب الجغرافي، تشارك هذه البلاد غالباً في روابط عرقية ودينية، إلى جانب روابط أوسع نطاقاً، سياسية واقتصادية واجتماعية. وفي كثير من الحالات، يكون للمصالح الخاصة أو السياسية في البلد المضيف مكان في النزاع الذي يجاورها.

وتظهر هذه الديناميات غالباً في العلاقات بين اللاجئين والمجتمعات المضيقة على المستويين المحلي والإقليمي، وهي من ثمَّ يمكن استعمالها لتعزيز بعض الروايات السياسية. ثم إن تفاعل هذه الديناميات، التي زادت حدتها بسبب تحميل اللاجئين والمجتمعات المضيقة ما لا طاقة لهم ولها به في حالات التهجير التي يطول أمدها، يمكن أن يزيد خطر التوتُّرات بين اللاجئين أنفسهم، والتوتُّرات بين اللاجئين والسكان المضيفين.

وفي هذا السياق، يمكن أن يكون للتنمية والمساعدة الإنسانية دور فعَّال في معالجة الأسباب الأصلية أو التوتُّرات المتفاقمة معالجةً مجدية. وفي جهود بناء السلام التي يبذلها لاجئو جنوب السودان في أوغندا، فُرِّصَ للتفكير في التحدُّيات التي تتحدَّاهم، وفي الممارسة السليمة، فكيف يكون إدماج نتائج بناء السلام ومنع نشوب النزاع في البرامج الإنسانية والتنمية؟ وكيف يُحسَّنُ تمكُّن دَعْمِ الجهات الفاعلة الخارجية للجهود المستدامة المبدولة محلياً؟ ويمكن أن يتوافق كثيرٌ من الأفكار المناقشة هي وغير أحوال تهجير أخرى.

ما بعد الكلام المُنتَق

يُحَالُ مفهومًا الامتناع عن الضرر ومراعاة ظروف النزاع غالباً إلى كلام منسَّق. إذ يُذَكَّرُ المفهومان مراراً في عروض المشاريع، ووثائق البرامج، والأطر المنطقية، ولكن يندر أن يُحوَّلَ إلى

و نظراً إلى طبيعة النزاع في جنوب السودان، هناك أيضاً من النزاعات بين اللاجئين ما هو كامنٌ وما هو ظاهرٌ، تنشأ غالباً عن ارتباطات حقيقية أو متصورة بين أطراف النزاع في جنوب السودان. وصحيح أن التوتُّرات تختلف في مستوطنات اللاجئين بأوغندا، ولكنَّ نشوءها إنما يعني أن الأحداث أو المنازعات الظاهر ضررها قد تصاعدت سريعاً، وهذا أدى إلى مزيد من الاضطرابات أو العنف أو كليهما، وأدى في بعض الحالات إلى وفيات. وفي هذا السياق، مهمٌ جداً أن يكون لدى الجهات الفاعلة في المجال التنموي والإنساني فهمٌ دقيقٌ للديناميات التي يكثُر وقوعها محلياً في ما يستوطنه اللاجئون، أو في منطقة محددة مما يستوطنه اللاجئون، ومن هذا الفهم معرفة كيفية ارتباط هذه الديناميات بالديناميات التي في نزاع جنوب السودان الذي هو أوسع نطاقاً، وكيفية تطورها اعتماداً على ظروف مستوطنة اللاجئين. ويجب أن يكون ذلك نقطة انطلاق كل مساعدة، لا أن يُقتصر على الجهود التي تبذل في سبيل الإسهام في منج النزاع وبناء السلام.

وبالأسف، مثل كثير من السياقات، يعلب على المساعدة الإنسانية التي تصل إلى لاجئي جنوب السودان في أوغندا أن

في الميدان الاقتصادي. وهو يسير في الطريق إلى هدف الإسهام في السلام والاستقرار في ضمن ما هو موجود من أطر والتزامات عملية وسياساتية (ولكن من غير تغيير في الغرض الرئيس الذي يرمي إليه البرنامج). وآخر مطاف الإطار هو التطلع - كما جاء في الهدف رقم ١٦ من أهداف التنمية المستدامة - إلى معالجة محرّكات النزاع معالجة مباشرة ومُتروّ فيها (وهذا في جميع البرامج التي تتخذ تخفيض النزاع هدفاً رئيساً لها).

ذلك، وبين عدد من الدراسات كيف أن المساعدة الإنسانية، للاجئي جنوب السودان الذين يقيمون في شمالي أوغندا، عززت ديناميات النزاع بين عناصر المجتمع الأوغندي المختلفة، وهذا أدى إلى زيادة في حدة عدم المساواة والانقسام بين قلب المجتمع وضواحيه (centre-periphery). وتظهر هذه التوتُّرات بعد في الكيفية التي عليها استعمال المجتمع المحلي المضيف ما لديه من نفوذ على السكان اللاجئين لكي يجذب المعونة والمعاملة التفضيلية من الحكومة المركزية. وهذا يزيد ما يشعر به اللاجئون من تهميش وحرية، ومن ثم يتضاعف دور ديناميات النزاع داخل جماعات اللاجئين أنفسهم.



التغطية السامية للحم المتصدد لشؤون اللاجئين بولاية كيارا

داخل المجتمعات المحلية وبينها، ودعّم الشباب والنساء ليكونوا وسطاء أو 'مديري نزاعات' في مجتمعاتهم المحلية، والخوض في التعليم أو الأعمال الثقافية المشتركة أو الرياضة، وإنشاء منظمات مجتمعية لتوسيع المدارك في بناء السلام.

من جهة، قد يبدو نطاق الأنشطة المدعومة، التي يقوم بها لاجئو جنوب السودان، اعتبارياً وغير مُخطّط له ولا تنسيق فيه، ولكن يحتاج بُناة السلام المحليون إلى الحرية في تقرير الأنشطة والأعمال التي يُحتجّجُ إليها وفي تحديد الأنشطة والأعمال التي يرحب أن تجذب المشاركة المجتمعية، فإن قدر بُناة السلام على سلوك طريق خالٍ من أوامر الداعمين، فستكون نتائج بناء السلام إيجابية على الأرجح. ويمكن أن يكون للجهات الفاعلة الخارجية أدوات ذات شأن، ولكن ينبغي أن تكون مُصاحبة أكثر فاعلية، لا مُوجهة، وأن تكون مفتوحة لإجراء متكرر يخطّط بالتشاك والتعقيد الواقعي، أي مفتوحة للتعليم من كل من 'النجاح' و'الإخفاق'.

وهناك عامل آخر إما يمكن بناء السلام المقود محلياً أو يُقيد، وهو بيئة السياسات في مكان محدّد، ويُقرّ في نطاق واسع أن أوغندا هي ربما أكثر الدول المضيفة كرماً، إذ يتمتع اللاجئون فيها بمجموعة واسعة من الحقوق تُؤصلهم إلى سبل المعيشة والتعليم والحماية، ويشتمل ذلك على الحق في تسجيل منظمة أهلية وافتتاحها، وينظر إلى هذا على أنه خطوة أساسية تتماشى هي وما تدعو إليه السياسات العالمية من تمكين الاستجابات التي يقودها اللاجئون. هذا مهم لتيسير تأسيس المنظمات التي يقودها اللاجئون لكي يصل إليها التمويل من الجهات المانحة في المجال الإنساني والتنمية، غير أنه يُنشئ لغزاً حول الجهود التي يقودها المجتمع المحلي لمنع اندلاع النزاع ولبناء السلام. فقد يكون من الحوافز إلى تأسيس منظمة أهلية مسجلة أو منظمة غير حكومية مسجلة، في آخر المطاف، أن تُقوّض القدرة على الخوض في طرق ديناميّة سلسة، تتجاوز حدود منظمة تعتمد على تمويل مشاريع محدّدة.

وعلى حين أن 'تأثير منهاج المنظمات غير الحكومية' في العمل المدني من أجل التغيير هو اتجاه عامّ تناقصه غير وارد، بين يدي الجهات الفاعلة الخارجية وسائل يمكن أن تُتيح بها دعماً أعمق على بناء سلام مقود بالحق محلياً. ومن هذه الوسائل دعّم شبكات اللاجئيين وحركاتهم الاجتماعية وغيرهم من المشاركين في بناء السلام في مستوى المجتمع المحلي، ودعّم المنصات (لا المنظمات) التي تربط الجهات الفاعلة بعضها ببعض من طوائف المجتمع المحلي

تغفل عن هذه الديناميات. وفي سلسلة من الأحداث البارزة، سعت فيها الجهات الفاعلة الدولية في المجال الإنساني إلى الاستجابة للنزاع داخل جماعات اللاجئين، اتخذت هذه الجهات الفاعلة غالباً مقاربة التفريق بين الجماعات، بدلاً من أن تسعى إلى الجمع بينهم لمعالجة المسائل الأساسية التي تُثير التوتر أو سوء التفاهم بينهم. ومع مرور الوقت، ما كان من ذلك إلا أن زاد هذه الشروخ انشقاقاً. هذا من جهة، ومن جهة أخرى، أن الجهود المبذولة لجمع اللاجئين من مجتمعات محلية مختلفة من خلال التعليم سُبل المعيشة إنما تعتمد كثيراً، أكثر مما ينبغي، على الافتراض القائل بأن التفاعل وحده بين اللاجئين كافٍ ليؤدّي إلى نتائج بناء السلام. ولكن في بعض الحالات، إن لم تُصمّم التدخلات تصميمًا مناسباً أو إن عُجّل بها، يمكن أن يزيد التفاعل -أي الاتصال- حقاً في سوء النزاع. ويتجاهل هذا أيضاً الحاجة إلى إنشاء الثقة أولاً، والحاجة إلى تيسير تعميق التفاعلات بعد أن تُختّم أنشطة المشروع.

تركّز الزّمام للجهات الفاعلة المحلية

لا يمكن أن تكون الجهود المبذولة لمعالجة الأسباب الأصلية فعّالة ومستدامة إلا إذا قادتها جهات فاعلة محلية من المجتمع المحلي المتأثر بالنزاع. وتقتضي هذه الجهود أيضاً اتّباع مقاربة تدريجية متسلسلة، تبدأ بالخوض في المجتمعات المحلية لفهم تصوراتهم الخاصة للنزاع، وأهم من ذلك، لتحديد ما هو قائم من قدرات أو مقاربات أو منابر، وذلك لحلّ النزاع أو النزاع داخل المجتمع المحلي. وصحيح أن الجهات الفاعلة الخارجية كهيئات الأمم المتحدة، والمنظمات غير الحكومية الدولية، وغيرها من الجهات المانحة، تستطيع إتاحة دعم مفيد، لكنها تستطيع كذلك -إن لم تُتيح الدعم إتاحة سليمة- أن تقوّض وتعوّق شدة النشاط واللين المطلوبين لترقية جهود بناء السلام. وما يُباين ذلك، أن بُناة السلام على مستوى المجتمع المحلي إنما يتمتعون بالشرعية ونقاط الدخول والشبكات، وهذا لا يمكن أن ينطبق على الجهات الفاعلة الخارجية، حتّى الجهات الفاعلة التنموية أو الإنسانية منها، التي لها تاريخ طويل من الحضور أو الخوض في مجتمع محلي معين.

ثم إن الجهود المختلفة المقوّدة محلياً لمنع اندلاع النزاع ولبناء السلام بين جماعة لاجئيين جنوب السودان في أوغندا، إنما تُبين عملياً الأثر الذي يمكن تحقيقه حين تنزل الجهات الفاعلة الخارجية منزلة ثانوية وتُفسح المجال لغيرها ليقود. ومثال ذلك: التشارك مع قادة من المجتمعات المحلية المختلفة لتحسين الوساطة وحلّ النزاعات من غير عنف

بما هو عكس الذي يُتَظَنَّرُ، وذلك بسبب ما يُنَّازُ من توقعات المجتمعات المحلية، ووضَعُ مناصري إحلل السلام في مواضع لا يُطَبِّقونها أو "تأثير مناهج المنظمات غير الحكومية" فيهم. وبنبغي تجنّب هذه الممارسات، على حين ينبغي الحُضُّ على ممارسات أخرى. ومنها إتاحة دَعْمٍ مستدام، يمكن التنبؤ به، ولكنّه غير مُقَرَّرٍ سلفاً، ومن ذلك الدَعْمُ عن طريق التمويل الجماعي للأفراد والحركات، الذين يتخطون الحدود التنظيمية، ويُمكنون اتخاذاً القرار والعمل المُقَوِّدِينَ مجتمعيًا، ويُعزِّزون القدرات والأعمال التي يمكن تكون مستدامة مع مرور الوقت. وإن هذا لتحَدُّ طویل الأمد، يقتضي مشاركة، مستدامة، مكرّرة، طويلاً أمدها، لكي تُوضَعُ الجهود المُقَوِّدة محلّياً موضع المُسَيِّطِر.

أليكس شوبردج ash@oxfamibis.dk

مستشار شؤون بناء السلام، في منظمة أوكسفام (فرع الداغمارك)
https://oxfamibis.dk

١. p5 bit.ly/CSRF-toolkit-2017

٢. See for example European Union (2018) *Contested Refugees*.

The Political Economy and Conflict Dynamics in Uganda's Bidibidi Refugee Settlements, p5

(ملجأ متنافس فيه: الاقتصاد السياسي وديناميات النزاع في مستوطنات بديبيدي للاجئين في أوغندا) bit.ly/EU-ContestedRefugee-2018

٣. See World Bank/United Nations (2018) *Pathways for Peace: Inclusive Approaches to Preventing Violent Conflict*

(مسالك السلام: مقاربات شاملة لمنع النزاع العنيف)

www.pathwaysforpeace.org

كلّها. وفي حال مجتمع لاجئي جنوب السودان في أوغندا، كان -وما يزال- مَنَحُ المَبَادِرَاتِ بناء السلام المُقَوِّدة محلّياً وسيلةً قيّمةً لتقوية الجهود التي يقودها المجتمع المحلي على معالجة الأسباب الأصليّة. وفي مستوطنة راينو، ساعد دَعْمُ مبادرات بناء السلام المُقَوِّدة محلّياً على حلّ العنف المُبْمِتِ الذي اندلع بين قبيلتي الدينكا والنوير في شهر يونيو/حزيران من عام ٢٠١٨، وليس هذا فحسب، بل ساعد أيضاً على ضمان أن يتحقّق استمرار الحوار والتفكير في المجتمع المحلي في أعقاب ذلك. وبدلاً من تحديد النتائج والأطر المنطقية تحديداً مسبقاً، تبيح المقاربات المفتوحة باب العضوية فيها، المستندةً إلى نطاقٍ واسعٍ من الأهداف المحلية، إجراء تعديلاتٍ إجرائيةٍ متكررة، وانتهاءً فَرَضٍ لم تكن في الحسبان.

ولقد يكون 'الكف عن' ما درجت عليه المؤسسات أمراً صعباً، ولكن الذي هو أصعب من ذلك هو تحويل تصوّرات المجتمع المحلي المرتبطة 'بصورة' منظمة ما وبطرق عملها القياسية. وبهذه الطريق، ينشأ احتمال خطر أن تصبح كل من المشكلات والحلول مَوْجَهًا إليها في مشروع يعينه من غير نظر إلى مسائل وحاجات أخرى، مشروع منحصر في نفسه، وقصير الأمد، وتدرجي. وفي هذا مشكلات وصعوبات، لا سيّما عند معالجة الأسباب الأصليّة، إذ أشار البنك الدولي وغيره إلى أن تحويل أنماط النزاع مُحْتَاجٌ إلى عقدين من الزمن على الأقل. ٣. فنعم، قد تأتي المشاريع القصيرة الأجل